

دلائل الإعجاز

الصاحبُ : لو لم يُعَدِّدْ أربعَ مراتٍ فقال : .

(بجهلٍ كجهلِ السيفِ وهو مُنتَضَى ... وحلمٍ كحلمِ السيفِ وهو مغمَدٌ) .

لفسدَ البيت .

والأمرُ كما قال الصاحب . والسببُ في ذلك أنك إذا حَـدَّثْتَ عن اسمٍ مضافٍ ثم أردتَ

أن تذكرَ المضافَ إليه فإن البلاغةَ تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تُضمِّره .

وتفسيرُ هذا أن الذي هو الحَسَنُ الجميلُ أن تقولَ : " جاءني غلامٌ زیدٌ وزیدٌ " ويقبحُ

أن تقولَ : " جاءني غلامٌ زیدٌ وهو " . ومن الشاهد في ذلك قول دِعْبِل - البسيط - : .

(أضيفُ عِمرانَ في خِصْبٍ وفي سَعَةِ ... وفي حِباءٍ غيرِ مَمنوعٍ) .

(وضيفُ عمرو وعمرُو يسهرانِ معاً ... عمرو ولِـبِطَنَتِهِ والضيفُ للجوعِ) .

وقولُ الآخر - الطويل - : .

(وإن طُرِّـةً راقَتَكَ فانظُرْ قريباً ... أمرُ مذاقِ العودِ والعودُ أخضرُ) .

وقولُ المتنبي - الطويل - : .

(بمنَ نَضْرِبُ الأمثالَ أمَ مَنْ نَقِيسُهُ ... إليك وأهلُ الدَّهْرِ دونَكَ والدَّهْرُ

).

ليس بخفيٍّ على مَنْ لَهْ ذوقٌ أنه لو أتى موضعُ الظاهر في ذلك كَلَّه بالضمير فقل :

وضيفُ عمرو وهو يسهرانِ معاً وربما أمرٌ مذاقِ العودِ وهو أخضرُ وأهلُ الدهرِ دونَكَ

وهو لَعُدَم حسنٍ ومزية لا خفاءَ بأمرِهما . ليس لأن الشعرَ يَنْدَوِي كَسِرٍ ولكن تنكره النفسُ

. وقد يرى في بادئِ الرأي أن ذلك من أَجْلِ اللَّـبْسِ وأنك إذا قلتَ : جاءني غلامٌ زیدٌ

وهو كان الذي يقع في نفسِ السامعِ أن الضميرَ للغلامِ وَأَنَّكَ على أن تجيءَ له بخبر

إلا أنه لا